

العدل دولة والظلم جولة !....



الأحد 15 مارس 2015 12:03 م

كتب السعيد الخميسي :

العدل دولة والظلم جولة !....
من الحكم المأثورة للشيخ الراحل عبد الحميد كشك رحمه الله أنه قال " إذا احتكمت دولتان صغيرتان إلى هيئة الأمم المتحدة ضاعت الدولتان الصغيرتان معاً، وإذا احتكمت دولة صغيرة ودولة كبيرة إلى هيئة الأمم المتحدة ضاعت الدولة الصغيرة، أما إذا احتكمت دولتان كبيرتان إلى هيئة الأمم المتحدة ضاعت الأمم المتحدة نفسها!! ". هذا القول المختصر يدل دلالة واضحة على أن ميزان العدالة في العالم كله ومصيرها يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بميزان القوة . فإن كانت الدولة ضعيفة لاقية لها لها ولاوزن بين الأمم فمالها من أشياء ولا يسمع لها ولا تحترم لها كلمة . أما إذا كانت القضية مرتبطة بالأفراد ، فإن القضاء يقف مع القوى الظالم ضد الضعيف المظلوم . وكأن قول الشاعر " لاتطلبوا بالضعف حقاً ضائعاً بالضعف الحول من أشياء ، أصبح واقعا عمليا يؤيده الواقع المرير الذي تعيشه الأمم والشعوب .

* إن الشعوب لم تخلق لكي تعيش كالأنعام ترعى في حظائر الملوك والأمراء والحكام ، تبحث عن الكأ والمرعى وتنكس رأسها تأكل من خشاش الأرض ولا يعينها حرية ولا عدالة ولا كرامة ولا حياة كريمة . وإنما خلقت الشعوب حرة تحاسب حكامها ورؤساءها إن هم ضلوا الطريق وأساءوا استخدام السلطة لصالح أبنائهم وعشيرتهم وأهلهم على حساب جموع الشعب الغفيرة الفقيرة البائسة المطحونة التي لاتجد قوت يومها . لايمكن أن تكون هناك وزارة للعدل والظلم يعيش في أركان الوطن يغدو خماسا ويروح بطانا من كثرة الظلم والبغي والعدوان وأحكام الإعدام بسعر الجملة . مامعنى أن يدخل المواطن أقسام الشرطة على قدميه حيا يرزق سالما معافا ثم يخرج بعد ساعات محمولا على الأعناق جثة هامة خادمة لاحتكاك فيها ولانفس ولا روح من هول آلة التعذيب الجهنمية التي لاترحم صغيرا ولا كبيرا ولا امرأة ولارجل

* إن العدالة يجب أن يبدأ بها أولى الأمر الذين تولوا أمر المسلمين وغير المسلمين في دولة العدالة والحق والمساواة . فما هو الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز لما تلقى خبر توليته، انصدع قلبه من البكاء، وهو في الصف الأول، فأقامه العلماء على المنبر وهو يرتجف، ويرتعد، وأوقفوه أمام الناس، فأتى ليتحدث فما استطاع أن يتكلم من البكاء، قال لهم: بيعتكم بأعناقكم، لا أريد خلافتكم، فبكى الناس وقالوا: لا نريد إلا أنت، فاندفع يتحدث، فذكر الموت، وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتى بكى من بالمسجد يقول "رجاء بن حيوة" : والله لقد كنت أنظر إلى جدران مسجد بني أمية ونحن نبكي، هل تبكي معنا ! ثم نزل، فقربوا له الفراكب والموكب كما كان يفعل بسلفه، قال: لا، إنما أنا رجل من المسلمين، غير أنني أكثر المسلمين جملاً وعبئاً ومسئولية أمام الله، قربوا لي بغلتي فحسب، فركب بغلته، وانطلق إلى البيت، فنزل من قصره، وتصدق بأثائه ومتاعه على فقراء المسلمين

* لم يكتف عمر بن عبد العزيز بهذا الموقف بل نزل في غرفة في دمشق أمام الناس، ليكون قريباً من المساكين والفقراء والأرامل، ثم استدعى زوجته فاطمة، بنت الخلفاء، أخت الخلفاء، فقال لها: يا فاطمة، إني قد وليت أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام - وتعلمون أن الخارطة التي كان يحكمها عمر، تمتد من السند شرقاً إلى الرباط غرباً، ومن تركستان شمالاً، إلى جنوب أفريقيا جنوباً - قال: فإن كنت تريدني الله والدار الآخرة، فسلمي خليك وذهبك إلى بيت المال، وإن كنت تريدني الدنيا، فتعالي أمتعك متاعاً حسناً، واذهبي إلى بيت أبيك، قالت: لا والله، الحياة حياتك، والموت موئلك، وسلمت متاعها وحليها وذهبها، وفرغته إلى ميزانية المسلمين تلك هي العدالة الناجزة بل الفريضة الغائبة اليوم في وطننا . فما جاع جائع إلا بسرقة سارق وظلم ظالم وجور جائر .

* قال أحد الحكماء : " إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه، واستعن علي العدل بخلتين: قلة الطمع وكثرة الورع، فإذا كان العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به ولا صلاح فيها إلا معه وجب أن يبدأ بعدل الإنسان مع نفسه ثم بعدله مع غيره، فأما عدله مع نفسه فيكون بحملها على المصالح وكفها عن القبائح ثم الوقوف على أعدل الأمرين من تجاوز أو تقصير، فإن التجاوز فيه جور والتقصير فيه ظلم ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم ومن جار عليها فهو علي

غيره أجورًا أما عدل الإنسان فيمن هو دونه كالسلطان في رعيته والرئيس مع مرؤوسيه، عدله فيهم يكون يترك التسلط بالقوة وابتغاء الحق . " فمن هذا الكلام يتضح لنا أن استخدام البطش مع الرعية هو أشد أنواع الظلم الذي لاعدل فيه ولاحق .

* إننا لانريد فى أوطاننا غير العدالة , لايمكن أن تكون هناك عدالة فى توزيع ثروات الوطن وهناك الملايين تسكن القبور وقلة قليلة تتمتع بالسكن فى القصور من أموال الشعب وكدهم وليس من تعبهم وعملهم . نريد العدالة فى تولى المناصب العامة فى الدولة فيتساوى أبناء الفقراء والطبقة المتوسطة مع أبناء أكابر القوم الذين تحجز لهم مقاعدهم فى الجامعات والنيابة والقضاء وهم مازالوا أجنه فى بطون أمهاتهم لايعلمون شيئاً . إن الوطن الذى يبنى أركانه على الظلم هو وطن ضعيف كبيت العنكبوت يتطاير مع أول ريح عاصفة . يقول " فرانسيس بيكون "إذا لم تحترم الدولة قواعد العدالة، فإن العدالة لن تحترم قواعد الدولة" . ولن تبنى دولة ملكها على الظلم والطغيان بل تبنى الأمم والشعوب ملكهم ومستقبلهم بالعلم والإيمان بأن ميزان العدالة هو الذى يضبط حركة المجتمع من الزيغ والانحراف والانجراف وراء أمواج الظلم الطاغية فى بحر الهوى والسلطة الباطشة الباغية فى أى مكان وزمان .